

أدلة بلد في العالم القديم كما فتح في سبيل الحرية والاستقلال



بقلم: د. باهور لبيب

حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد استولى الهيكسوس (١) على جزء كبير من مصر (٢) وظل الاجنبي يستعمر هذا الجزء من وادي النيل قرنا ونصف قرن تقريبا ، الى ان شعر المصريون بوجود الاتحاد وبالكفاح في سبيل الحرية والاستقلال ، فتمكنوا من طرد المستعمر حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد بفضل جيش قوى يؤيده شعب متحد .

وقد طارد المصريون المحتلين ، من مصر ، بعرب اعلمها هي اكبر حرب قامت بها مصر في تاريخها القديم في طلب الحرية والاستقلال والقضاء على الاحتلال الاجنبي ، وتعتبر هذه الحرب اول حرب عرفها العالم في سبيل التحرير . وقد جازت مرحلة المقاومة الهيكسوس من مصر ادوارا عديد اعلمها :

١ - الدور الاول في عصر سقنن رع الملقب فن (اى الشجاع)

ومرجعنا العلهي الوحيد ما ورد ضمن احدى القصص التي لاكنها الالسن في زمن الرعافسة ودونت بعد خروج الهيكسوس في بردية محفوظة حاليا في المتحف البريطاني

(١) عندما ضعفت مصر نتيجة التناحر على الحكم والانقسام داهمها العدو الاسوي المعروف في التاريخ باسم الهيكسوس وقد جاءت احوال مصر السيئة موازية للفرقة في وقت كان الضغط عليهم في بلادهم يزداد شدة ويدعو الى هجرتهم نتيجة لاغارات حلت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

ويشوب معرفتنا بعصر الهيكسوس ظلال لا سيما عن عاصمتهم اورايس (حات وعمرت بالمصرية القديمة) التي اختلف العلماء في تحديد مكانها (هل هي مكان صنان شجر - (تاليس) أو قنتير أو تل (الضبعة) ، وعن عاداتهم الاسبوية التي لم يظهر الا في مصر ما يفسر اليها الا اثارا يسيرة لا تكفي لمعرفة عاداتهم . لذلك كان للحفائر التي تجريها البعثة النمساوية في بلدة تل الضبعة أهمية خاصة

وتعرف ببردية (ساليه (٣) . وتذكر لنا هذه القصة ان سقنن رع كان حاكما على اقليم طيبة يعاصره ملك من الهيكسوس يدعى ابوفيس وان سقنن رع دعا قواده لمحاربهه وهذا سقط الاصل في البردية ولم تكمل القصة ، الا اننا نعلم ان موهيئ سقنن رع وجدت وبها جروح نتيجة قربات موهيته سقطت على اثرها صريعا في ميدان القتال ، ثم انقذ احد قواده جثته (وهي الآن محفوظة بالمتحف المصري) وهو يدافع عن حرية بلاده ويقاتل في سبيل استرجاع استقلالها .

٢ - الدور الثاني في عصر كامس :
اما الدور الثاني من ادوار حرب الهيكسوس فنعتمد في معرفته على ما ورد في لوحة خشبية معروفة بلوحة كارنار فون وكتب عليها بالهيراطيقية ان كامس جمع قواده وواصل الحرب التي دارت بين الهيكسوس وبين والده سقنن رع وتقدم حتى شمال الاشمونين .

(ب) وقد ابدت الحفائر التي قام بها شيفريه في الكرنك ما ذكرته لوحة كارنارفون .

(ج) ثم اكتشف اخيرا الدكتور محمد حماد في معبد الكرنك حجرا أثريا (٣) وعليه بعض النصوص الهرغوليفية التي تليق ما دار من معارك في عهد كامس ، وهذا الحجر بلا شك النسخة الاصلية لقصة هذا البطل المكافح وتؤيد ما ذكرته النصوص الاخرى المتأخرة عن عصره .

٣ - الدور الثالث - عصر احمس :

ويبدأ الدور الثالث والآخر في هذه الحرب التحريرية الاولى في تاريخ العالم عندما توفي كامس وتولى بعده بطل تحرير مصر احمس الاول الذي آتم رسالة ابيه سقنن رع ورسالة اخيه الاكبر كامس ، فطرد احمس الغزاة واجلاهم عن البلاد نهائيا كما حدثتنا بذلك ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الجندية في عصر احمس واولهما هو احمس بن ابانا وثانيهما بن نخبت .

ومن الطريف انه بعد انتصار احمس على الهيكسوس في عاصمتهم اورايس (حات وعرة) فقد اقتفى اثرهم متجها نحو الجزء الشمالي من صحراء سيناء لانه لم يشأ ان يترك

اذ اثبتت بعض الاثار التي اكتشفتها البعثة ان الهيكسوس اقاموا في مقرهم بالضبعة وانهم احتفظوا بعاداتهم الاسبوية مثل عادة حرق الاطفال قبل ان يكتسب الهيكسوس العادات المصرية وينظموا بطباع المصريين .

(٢) وقف تقدم الهيكسوس عند منطقة آسيوط .

(٣) كان من اهم ما يعنى به القدماء بعد قيامهم

بحروبهم التي سجلوا بها في التاريخ ازوع الانتصارات ان يبادروا حال عودتهم الى مقرهم طافرين ، بأن يدعوا على الشعب بمختلف لطرق اخبار تلك الحروب وما دار خلالها من المعارك وما آحرزوه في تلك المعارك من انتصارات بتدوينها على لوحات حجرية في المعابد حتى تقع تحت ابصار اكبر جانب ممكن من الشعب الذي يؤم هذه المعابد ، فكانت والامر كذلك بمثابة الصحف السيرة في هذه الأيام .

تقرير

عن حفائر البعثة النمساوية في منطقة
تل الضبعة شرق الدلتا موسم ٦٦/٦٧
عن عاصم الهيكسوس

ترجمة: د. عبد المنعم أبو بكر

منذ العصور المبكرة من التاريخ المصري كانت الدلتا مسرحا لأحداث كثيرة مختلفة ، إذ أنها كانت الصلة بين مصر والشرق الأوسط من ناحية ، وبين ليبيا من ناحية أخرى إذ كانت تصب منها طوق القوافل التجارية التي كانت تأتي إلى مصر من الشرق والغرب ، كما كانت الدلتا منطقة تطورت فيها مراكز كثيرة للمعبادة نذكر منها على سبيل المثال سايس ، وبوتو ، وأوزيرس ، ومندس وغير هذا . فمن المعروف أن الدلتا كانت مسرحا لعديد من الغزوات تأتيها تارة من الغرب حيث حاولت القبائل الليبية أن تستقر فيها . وكانت تأتيها تارة أخرى قبائل أسيوية ، وفي نهاية الأمر كانت الدلتا مسرحا لمعارك كثيرة حول بها ملوك مصر العليا أن يحققوا وحدة سياسية وظهروا في التاريخ تحت اسم ملوك الأسرة الأولى الفرعونية وبدأوا عصرا جديدا هو العصر التاريخي لمصر ، ومن حقنا أن نعتقد أن كل هذه الأحداث لا بد أن تكون قد تركت آثارا لها في هذه المنطقة وبالتالي نأمل أن يعثر العلماء على آثار مختلفة للدلتا لعلها تنير أمام العلم بعضا من الظلمات التي لا تزال تخيم على حقبات كبيرة من التاريخ المصري .

لقد بقيت الدلتا فترة طويلة دون نشاط للدراسات العلمية نظرا لتهاافت البعثات على مناطق مصر العليا التي تكافى بسرعة العاملين فيها بآثار وتحف ثمينة ، ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لأن تستمر أعمال الحفر في هذه المنطقة المهمة خاصة وأن ظروفها سوف تجعل مستويات المياه الباطنية تنذب بين الصعود

الهيكسوس على حدود مصر فيهددون بها بخطر دائم ، لذلك فقد تعقبهم بعد الحدود المصرية حيث التحم معهم في عدة مواقع من أهمها موقعه تاروشن فحاصر أحسن هذه المدينة وكان هذا أول حصار يضربه جيش من الجيوش على مدينة . وقد انتهى الحصار بتخريب مدينة تاروشن على يد الجيش المصري بقيادة أحسن (٤) .

وكما كانت هذه المعركة خاتمة لحرب الاستقلال المصري من الغزاة فقد كانت بداية للسياسة الحربية في تاريخ مصر العسكري .

فهذه تلك الحين أخذ نجم مصر يتلألأ في أنحاء العالم المعروف كله لا سيما في بلاد الشرق القديم والفضل في ذلك لوجود جيش قوى مزود بأحدث المعدات في ذلك الوقت إذ أدخلت المركبات الحربية التي تجرها الخيول والتي أخذ المصريون نظامها عن الهيكسوس ولكن المصري تفوق بعد ذلك في استخدامها ، فبد في ذلك اصحابها ، فأصبح الجيش المصري يحتوى على فرق من المركبات إلى جانب فرق المشاة والبحارة مما يدل على قابلية المصري منذ تلك العهود السحيقة للتأثر بالأفكار والمبتكرات الحديثة لغيره من أبناء الدول الأخرى حتى وإن كانت من دول الأعداء ، وذلك هو أحد العوامل المساعدة على النجاح في بناء الدول .

وبهذه المناسبة نقول : لعل الجندي المصري القديم هو أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية وأول من دق على الطبل لتنظيم المتى في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة بل لعل الجندي المصري هو أول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالقدم اليسرى أي كما هو متبع في الجيوش الحديثة ، وهذا الجيش العظيم كان يؤيده شعب متكاتف متجدد ولهذا السبب فضلت تسمية تلك الفترة التي بدأت بهذا النصر على يد أحسن وبعض وحدة مصر الثالثة (هـ) خلافا للتسمية الأخرى المعروفة بعصر الدولة الحديثة .

لما أحوج مصر اليوم إلى أن تتنهل بالماضي الجيد وتستمد من وقائعها عبرة تستلهم منها ما يجدر بها من نصر .

(٥) وما يؤسف له أن مقبرة أحسن لم تكشف حتى الآن رغم أن مومساي وجدت في خيئة الدير البحري حاليا بالمحلف المصري

وارجو تحقيق كشف مقبرة أول محرر أرض الكنانة من الغزاة الماضيين في جبانة طيبة الغربية (منطقة ذراع أبو النجا)

٥١ اقرأ في هذا نظريتنا التي نقول بها . مخالفين سائر علماء التاريخ ولائكار من تقسيم تاريخ مصر القديم حسب ما طرا على مصر في عصورها السالفة من وحدة أو بفسك . وهي النظرية التي سجلناها أول مرة في مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٤٢ ثم أوردناها في كتابنا المعائن من الدراسات المصرية القديمة سنة ١٩٤٧ .